الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية الأداب واللغات قسم اللغة و الأدب العربي

صورة المجتمع الجزائري في رواية " الدار الكبيرة " لمحمد ديب

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: دراسات أدبية

إعداد الطالبات :
- عياطي كاملة وفاء
- مومني نادية
- فريجات نوال

إشراف الدكتور :
- محمد الصديق معوش

السنة الجامعية: ٢٠١٩/٢٠٢٠

المقدمة

شهد القرن العشرون ميلاد الأدب الجزائري الناطق والمكتوب باللغة الفرنسية، ويعتبر ظهور هذا النوع من الأدب نتيجة مباشرة للاحتلال الفرنسي في الجزائر الذي أدى إلى احتكاك الجزائريين بالثقافة الغربية، فظهرت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية والتي شكلت المنبر الذي اعتلاه نخبة من الكتاب بهدف إيصال إبداعاتهم الفكرية فكانت هذه الإبداعات وعاء لغويا مختلفا تمام الاختلاف عما سبق، للتأكيد على جزائريتهم وإسهاما منهم في نقل صورة مجتمعهم في تلك الفترة الاستعمارية.

فكان محمد ديب واحدا من أولئك الأدباء الذين نقلوا في كتاباتهم واقع أمتهم ونادوا بنداء قومهم، فجاءت أعماله الأدبية الأولى ثلاثية الجزائر "الدار الكبيرة، الحريق، النول" تحمل هموم الجزائريين وتنطق بأحاسيسهم ومشاعرهم وتصور آلامهم وتأمل بآمالهم، فقد ضم ديب صوته إلى صوت المجموع منذ أول قصة كتبها، حيث كان رافضا منددا وناقدا للسياسة الاستعمارية، إذ يقول: (منذ البداية كانت كتبي الأولى ذات الصبغة التاريخية ترفض الاحتلال، فكانت تعد نقدا لاذعا للعنف الحاصل في الجزائر).

وباعتبار الأدب انعكاسا لحالة المجتمع وتعبيرا صريحا عن حياة أفراده، كان لزاما على أدباء الجزائر أن تكون أقلامهم سيّالة، ترصد القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تمخضت عنها أزمة الجزائر.

ومما دعانا لاختيار هذا البحث الموسوم بـ "صورة المجتمع الجزائري من خلال رواية الدار الكبيرة لمحمد ديب"، هو رغبتنا الملحة في تسليط الضوء على هذا الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، فقد أردنا الولوج من خلاله إلى واقع المجتمع الجزائري من أبوابه الواسعة لنكشف ما كانت عليه حال الشعب الجزائري الذي عان من حرب أهلية غير معلنة، زادت من عمق الجراح الناتجة عن الاحتلال الفرنسي وبذلك نستطلع وقائع عايشها آباؤنا، أما عن اختيارنا لرواية "الدار الكبيرة" لمحمد ديب فلأننا رأينا أنها أكثر خدمة لموضوعنا من حيث تجسيدها لأوضاع المجتمع الجزائري، وهذا ما دفعنا لطرح الإشكال التالي:

كيف صور محمد ديب المجتمع الجزائري من خلال روايتة " الدار الكبيرة " ؟

وللإجابة عن هذا الإشكال انتهجنا في دراستنا الخطة الآتية:

ـ **مقدمة:** حيث مهدنا للموضوع ووضحنا فيها خطة الدراسة ومنهجها، وذكر أهم المصادر والمراجع.

ـ **الفصل الأول:** والذي عنوناه بـ "الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية: النشأة والقضايا" وتناولنا فيه مفهوم الرواية (لغة و اصطلاحا)، ثمّ نشأة وتطور الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية وبعدها قضايا الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، وأخيرا أهم أعلام الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية أما

ـ **الفصل الثاني:** فقد حمل عنوان "ملامح المجتمع الجزائري من خلال رواية " الدارالكبيرة"، وفيه تناولنا ملامح الفقر في المجتمع الجزائري وصورة الطفل الجزائري، وكذا صورة المرأة الجزائرية.

ـ **الخاتمة:** حوصلنا أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

وقد اعتمدنا المنهج التاريخي في الفصل الأول تتبعا لنشأة وتطور الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، والمنهج الاجتماعي في الفصل الثاني كإجراء منهجي مساعد لبيان صورة المجتمع الجزائري في الرواية.

واستندنا في هذه الدراسة إلى مجموعة من المصادر والمراجع كان أهمها رواية الدار الكبيرة لمحمد ديب، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي لأحمد منور، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيونقدية لجبور أم الخير، تطور الأدب القصصي الجزائري لعايدة أديب بامية.

وكأي باحث اعترضتنا مجموعة من الصعوبات أهمها قلة المراجع في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية.

وفي الأخير نتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان وأصدق كلمات التعبير والعرفان إلى الأستاذ المشرف على كل النصائح والتوجيهات التي قدمها لنا، وعلى مساعدته لنا لإتمام هذا العمل المتواضع.

الفصل الأول:

الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية: النشأة والقضايا

- **أولا: مفهوم الرواية:**

١ . المعنى اللغوي:

إنّ الأصل في مادة (روى) في اللغة العربية هو جريان الماء، أو هو وجوده بغزارة، وحديثا أطلقوه على ناقل الشعر فقالوا: رواية؛ و ذلك لتوهمهم وجود علاقة النقل أولا، ثم لتوهمهم وجود التشابه المعنوي بين الرأي الروحي الذي هو الارتواء المعنوي من التلذذ بسماع الشعر أو استظهاره بالإنشاد، والارتواء المادي هو الذي يشرب الماء العذب البارد الذي يقطع الظمأ، لأن الصحراء كان أعز شيء فيها هو الماء ثم الشعر، وواضح أن أصل معنى (الرواية) في العربية القديمة إنما هو الاستظهار"[١]

وجاء في لسان العرب لابن منظور: "مشتقة من الفعل روى، قال ابن السكيت: يقال روى فلان شعرا، إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه، وقال الجوهري: رويت الحديث والشعر رواية فأنا راو في الماء والشعر ورويته الشعر ترويه أي حملته على روايته، تقول أنشد القصيدة يا هذا ولا تقل اروها إلا أن تأمره بروايتها أي باستظهارها"[٢].

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة : "روى، يروي، ارو، ريا، فهو راو، والمفعول مروي، روى الزرع: سقاه، ويقال: روى إبله أي: سقاها حتى رويت، روي من الماء أي روى وشبع حتى ذهب عطشه، ويقال روى الحديث: أي نقله وحمله وذكره، فلان يجيد رواية الشعر وروى الرواية؛ أي قصها"[٣].

ومن خلال هذه التعريفات اللغوية نلاحظ أن الرواية مشتقة من الفعل روى يروي ريا ويعني الحمل والنّقل لذلك يقال رويت الشعر الحديث رواية أي حملته ونقلته بالإضافة إلى

---

[١] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، ١٩٩٨، ص: ٢٢، ٢٣

[٢] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، ص: ١٧٨٥، ١٧٨٦

[٣] أحمد مختار عمر ،معجم اللغة العربية المعاصرة ، ط١، عالم الكتب، القاهرة ٢٠٠٨، ص: ٩٦٣، ٩٦٤

كون الرواية تحمل مدلولات لغوية متعددة فهي بطبيعة الحال تحمل معاني اصطلاحية كثيرة و كثيرة للدارسين والمفكرين وسنعرض في ما يلي بعض هذه المعاني.

٢ . المعنى الاصطلاحي:

الرواية جنس أدبي حديث يعتمد على السرد والنثر وهي نقل الراوي حديث المحكي؛ تحت شكل أدبي يرتدي أردية لغوية تنهض على حملة من الأشكال والأصول كاللغة والشخصيات والزمان والمكان والحدث، يربط بينهما طائفة من التقنيات كالسرد والوصف والحبكة والصراع، وهي سيرة تشبه التركيب بالقياس إلى المصور السينمائي، بحيث تظهر هذه الشخصيات من أجل أن تتصارع طورا، وتتحبا طورا آخر لينتهي بها النص إلى مرسومة بدقة متناهية وعناية شديدة[١].

"يعتقد الكثير من المنظّرين بأن الرواية جنس أدبي ظهر في العصر الحديث، فالفيلسوف "هيغل" يربط ظهور الرواية بتطور المجتمع البرجوازي وفي دراسته للشكل الروائي يقيم تعارضا بين الشكل الملحمي والشكل الروائي حيث تتميز الرواية بنثرية العلاقات"[٢].

يحدد معجم المصطلحات الأدبية الرواية بقوله : "الرواية سرد قصصي طويل يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة الأحداث والأفعال والمشاهد والرواية شكل أدبي جديد لم تعرفه من العصور الوسطى"[٣].

ومن التعاريف السابقة يتبين لنا بأن الرواية هي نوع من أنواع السرد، وهي فن نثري يتناول مجموعة من الأحداث التي تنمو وتتطور أو تقوم بها شخصيات متعددة في مكان وزمان، حيث أنّها أوسع من القصة غير أن ما يميز هذا الجنس عن سواه هو أنه متفتح على كل الأنواع الأدبية الأخرى.

---

[١] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص: ٢٤

[٢] محمد بوعزة تحليل النص السردي تقنيات و مفاهيم، دار الأمان، الرباط ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م ، ط١، ص: ١٥

[٣] نادية بوذراع، محاضرات في نظرية الأجناس الأدبية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط ١، ٢٠١٦ ، ص: ١١٣

- **ثانيا: نشأة وتطور الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسية:**

إن الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسية وليد عوامل كثيرة من أبرزها الاحتلال الفرنسي الاستيطاني للجزائر، والذي اتّخذ سياسة التجنيس وسيلة لطمس الهوية الجزائرية و العربية والإسلامية، و استعمل مختلف الطرق بغية تحقيق ذلك منها، حظر تعليم اللغة العربية ومحاربة المدارس القرآنية والزوايا التي اضطلعت بمهمة تعليم الجزائريين لغتهم ودينهم وتقويض دور المسجد وفي المقابل قام الاحتلال الفرنسي بتشجيع الحملات التبشيرية و إنشاء المدارس الفرنسية المختلطة في المدن والتي ضمت أغلبية فرنسية وأقلية جزائرية لتكريس تعلم اللغة الفرنسية باعتبارها لغة ثقافة وحضارة ولتكوين جيل جديد يتطلع إلى القيم الفرنسية بوصفها القيم المثالية ويعتنق الأفكار التي تشيد بفرنسية الجزائر وحق فرنسا في امتلاك الأرض وحكم الشعب أورثتها إياه حسب زعمها الشرعية التاريخية لخلافة الإمبراطورية الرومانية التي عمرت طويلا في شمال إفريقيا عامة والجزائر خاصة[١].

١ . قبل الاستقلال:

يعتبر المؤرخ الأول للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية (جان ديجو) أن سنة ١٩٢٠م هي الانطلاقة الأولى لهذا الأدب الناشئ[٢] حيث لم تعرف الرّواية منذ سنوات العشرينات ظاهرة العمل الفردي المعزول أو الانقطاع لمدة طويلة [٣] ويعد المؤلف القايد بن شريف الموسوم بـ (احمد بن مصطفى القومي) بداية تلك الانطلاقة و ينظر إليه على أنه أول رواية يكتبها جزائري باللغة الفرنسية[٤].

---

[١] حبيب فاطمة الزهراء ، ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، رواية بماذا تحلم الذئاب لياسمينة خضراء دراسة تطبيقية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، (إشراف : د بلقاسمي حفيظة) جامعة وهران ١، أحمد بن بلة، معهد الترجمة، سنة ٢٠١٥، ص: ٢٨

[٢] ينظر: أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي: نشأته و تطوره و قضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون الجزائر، ص: ٨٨

[٣] ينظر: أحمد منور، ملامح أدبية: دراسات في الرواية الجزائرية، دار الساحل،٢٠٠٨، ص: ٢٧

[٤] أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص: ١٠٤

وبرزت أثناء ذلك أسماء عديدة في مجال الكتابة الروائية حتى وإن لم يتعد إصدار أيّ منهم أكثر من روايتين ومن أشهر هؤلاء الكتّاب: عبد القادر حاج حمو صاحب رواية "زهراء امرأة المنجي" وشكري خوجة الذي أصدر في سنتي ١٩٢٨ و ١٩٢٩ علي التواتي روايتي "مأمون" و"العلج أسير بلاد البربر" ورشيد زناتي صاحب رواية: "بلنوار الفتى الجزائري Bou-el -nouar ,le jeune algerien" ١٩٤١

والملفت للنّظر في هذه الفترة الأولى هو ظهور روائيتين من بين الرّجال، هما الطاوس عمروش و جميلة دباش حيث أصدرت الأولى رواية "الزنبقة السوداء" سنة ١٩٣٧ واتبعتها بعد انصرافها مدة طويلة إلى مجالات إبداعية أخرى بـ "شارع الطبول" سنة ١٩٦٠ وأصدرت الكاتبة الثانية بدورها روايتين "ليلى فتاة الجزائر" سنة ١٩٤٨ و "عزيزة " سنة ١٩٥٥ ونشرت بين الروايتين أعمال أخرى ذات طابع اجتماعي تربوي[١].

وقد عرفت الرواية المكتوبة بالفرنسية خروجا عن التقليد الذي سارت عليه صدرت سنة ١٩٤٨ روايتي "إدريس" لعلب الحمامي و"لبيك" لمالك بن نبي و كلا الكاتبين كانا بعيدين عن الفكر الاندماجي الذي كانت تدعو إليه حركة "الفتيان الجزائريين" وتبناه كتاب الروايات السابقة وعبروا عنه في أعمالهم الأدبية[٢].

وعلى الرّغم من تشاكل مواضيع روايات هذه الفترة وملامستها لواقع عايشه الشعب الواحد، غير أنه ظهرت روايات أخرى خرجت لما ألفت عليه بقية الروايات فقد شكل ظهور رواية "الدار الكبيرة" لمحمد ديب سنة ١٩٥٢ منعطفا حاسما في تطور الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية على مستوى المضمون، فلأول مرة تتجاوز فيه هذه الرواية صالونات المثقفين ومناقشتهم الفوقية عن العدالة والمساواة، في ظل الحكم الاستعماري، ووهم التعايش السلمي بين الأهالي والمعمرين، عن طريق الدعوة إلى الاندماج و الزّواج المختلط لتنزل إلى الشعب وتصف أحوالهم المعيشية القاسية ومعاناتهم من الجوع والفقر

[١] أحمد منور، ملامح أدبية دراسات في الرواية الجزائرية، ص: ٢٨

[٢] أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص: ١٠٤

والقهر ولأول مرة تتحدث عن النضّال السياسي الجزائري وعن المناضلين الذين يعيشون في الخفاء مطاردين من قبل البوليس الاستعماري ولأول مرة نطرح تساؤلات محددة وصريحة عن الهوية الوطنية وعن مفهوم الوطن وعن الهوية الحقيقة للجزائريين.

وقد تأكد هذا التوجه الجديد في أعمال الكاتب اللاحقة لاسيما في روايتي "الحريق"١٩٥٤ و "النول" ١٩٥٧ اللّتين تشكلان امتدادا وتكملة لـ "الدّار الكبيرة".

وظهرت في هذه الفترة نفسها أعمال روائية أخرى لكتاب آخرين، تسير في الاتجاه نفسه الذي سارت فيه أعمال محمد ديب الأولى نذكر منها على الخصوص رواية "نوم العدل" ١٩٥٥ لمولود معمري و"نجمة" ١٩٥٦ لكاتب ياسين[١] .

٢ . بعد الاستقلال:

لم يكن الاستقلال نهاية الأدب النضالي، وهذا ما أكده "مالك حداد" أيضا، إن الاستقلال لا يعني نهاية الأدب النضالي وأن على الأدب فحسب أن يوائم ذاته مع حالة السّلم في البلاد وعلى الكتّاب أن يتغنوا بالحياة والسّلم[٢].

فالأدب يتلوّن بحسب حالات السّلم والحرب فلم تتمكن الأعمال المنتجة في هذه الفترة اتجاها مغايرا من حيث المضمون إذ كانت تقوم بتصوير أحداث ومشاهد الثورة التحريرية والتعبير عن مأساة الشعب وتصوير معاناته ومن بين الأعمال والروايات التي انتمت إلى هذا الاتجاه رواية "من يتذكر البحر Qui se suivant la mer" ١٩٦٢ لـ"محمد ديب" غير أنها كانت بأسلوب مغاير حيث لجأ فيها إلى استعمال الرّمز والتكثيف الشّديد للأحداث

[١] أحمد منور، المرجع السابق، ص: ١٠٦،١٠٧

[٢] ينظر: عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، تر: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص: ١٤٢

فيعبر بذلك عن أجواء التوتر والرعب التي كانت تسود المدن وعن حالة الخراب والدمار التي آلت إليها القرى و المداشر[1].

وتنتمي معظم الأعمال الروائية التي ظهرت بعد الاستقلال حتى نهاية سنوات الستينات تقريبا إلى الاتّجاه الملتزم والمنحاز إلى الثّورة وقد اتّخذت لها كإطار عام لأحداث ووقائع الثّورة المسلّحة من تصوير المقاومة الفدائية في المدن مثل ما نجد في رواية "أطفال العالم الجديد" ١٩٦٢ لآسيا جبار، وضرب القرى والمداشر بالمدفع والطائرات وتهديم المنازل على رؤوس سكانها مثل ما هو الحال في رواية "الأفيون والعصا" ١٩٦٥ لمولود معمري ووصف الحياة الصعبة داخل المعتقلات والسجون، وتنظيم عمليات الهروب منها كما نجد في روايتي "أصابع النهار" ١٩٦٧ لحسين بوزاهر، و"أسلاك الحياة الشائكة" ١٩٦٩ لصالح فلاح، و يمكن وصف هذه الأعمال بأنها كانت تصور كلها بطش الاستعمار وبشاعة أعماله من جهة وتشيد من جهة أخرى بكفاح الشعب وتتغنى بأمجاده و مآثره القديمة والحديثة وتعمق الإحساس بالوعي الوطني ووحدة الأمة[2].

وقد تسمي أدب هذه الفترة ب "أدب النزعة الاحتجاجية والاجتماعية والسياسية" ومن بين الروايات التي ظهرت في هذه الفترة "رقصة الملك" ١٩٦٨ و"إله أرض البربر" ١٩٧٠ و"معلم الصيد" ١٩٧٣ لمحمد ديب ورواية "المؤمن" ١٩٦٨ لمراد بربون و"الطليق" ١٩٦٩ و"ضربة شمس" ١٩٧٢ لرشيد بوجدرة و"موت صالح باي" ١٩٨٠ لنبيل فارس فكل هذه الأعمال الروائية يجمعها قاسم مشترك واحد هو نقد الأوضاع السياسية والاجتماعية في الجزائر.

وقد استمر هذا التوجه الانتقادي أو الاحتجاجي حتى بعد وفاة بومدين أواخر شهر ديسمبر ١٩٧٨ والذي ظل ينتقد الأوضاع الاجتماعية القاسية التي يتخبط فيها الشعب

---

[1] سعيدة جزار، الهوية الجزائرية في الرواية الفرنكفونية، رواية "ابن الفقير " لمولود فرعون، مذكرة لنيل شهادة الماستر ،(إشراف : شهيرة زرناجي) ، جامعة محمد خيضر بسكرة ٢٠١٥/٢٠١٦ ، ص: ٣١.

[2] أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ، ص: ١١١.

الجزائري و نجد ذلك بارزا في روايات "رشيد ميموني" مثل رواية "النهر المحول" ١٩٨٢ و"طواميز" ١٩٨٤ وكذا الأمر في رواية الطاهر جاووت "الباحثون عن العظام" ١٩٨٤[١].

- **ثالثا: قضايا الرّواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية:**

يعتبر العمل الروائي وليد تجارب معينة عاشها شخص واكتسب من خلالها نظرة خاصة للحياة، فنجد أن المواضيع التي تناولتها الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية كانت تعكس دائما ومنذ نشأتها إلى اليوم آمال وآلام أصحابها، فتطورت المضامين الروائية وطرق تناول الموضوعات المجسدة في سنوات الخمسينات نتيجة الحرب العالمية الأولى التي ولدت في الجزائر حياة أكثر ثراء وانفتاحا وتنوعا خاصة في ما يتعلق بالاتصال بالثقافات الأخرى، فنجد أن الروايات بداية من الخمسينات قد تناولت بإسهاب المشاكل الاجتماعية التي كانت من أبرزها قضية الفقر وقد جسدها محمد ديب في ثلاثيته: الدار الكبيرة، الحريق، النول والكثير من القضايا الأخرى التي سنتناولها في ما سيأتي:

١ . قضية الفقر :

قدم الاستعمار الفرنسي واستقدمت معه عدة مشاكل اجتماعية طغت على المجتمع الجزائري والفقر كان أبرزها لذلك ما كان من كبار الروائيين الجزائريين إلا الإسهاب في تناول هذه الظاهرة "والملفت للنظر أن الكتاب أصبحوا يعبرون بشجاعة عن الصلة الوثيقة بين الفقر ومآسي الحياة والمظالم الموجودة على أرض الواقع وخاصة المتعلقة بالجوانب السياسية" [٢] ونجد ذلك في ثلاثية محمد ديب "الدار الكبيرة، الحريق، النول" إذ صور ديب حالة الفقر المدقع التي عاشها الشعب الجزائري مجسدا في شخصياته المنتقاة انتقاء غاية في الدقة، فعمر كان مضطرا لتحصيل لقمة العيش لإخوته، وذلك بعمله في مصنع النسيج

---

[١] أحمد منور، المرجع السابق، ص: ١٢٠،١٢١

[٢] جبور أم الخير، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيونقدية، دار ميم للنشر، ط١، للنشر، ٢٠١٣ ، ص: ٢٦١

كما جسد لنا صورة العمال الكادحين والفلاحين "كما خصص محمد ديب مساحة كبيرة من رواية النول لرسم صورة المتسولين إذ امتد الحديث عنهم إلى ما يفوق الخمسين صفحة" [1]

ولم يكن ديب وحده من تناول موضوع الفقر، بل نجد أيضا مولود فرعون من خلال روايته "الدروب الوعرة" فصور الحالة الاجتماعية المزرية الناتجة عن الفقر في إحدى قرى القبائل عن طريق شخصية البطل عامر وما نتج عن هذا الوضع المزري من ظواهر سيئة كالهجرة هروبا من الواقع المتعفن بحثا عن مصدر الرزق.

٢ . قضية المرأة:

المرأة عنصر بارز من عناصر الخطاب الروائي ولشخصية المرأة حضور مميز في هذا الأخير،والمرأة في الرواية الجزائرية تحتل مساحة كبيرة ومؤثرة في حركة النص ولها دور خاص في تشكيل واع للصورة الاجتماعية التي تحتلها المرأة داخل مضمون الرواية، وقد تناولت عدة روايات هذا المضمون إذ تطرقت إلى تصوير الظلم والاضطهاد والتعسف، كل هذه الأشياء التي تعيشها المرأة في واقعها.

فنجد في رواية ريح الجنوب لـ عبد الحميد بن هدوقة تصور شخصيات نسائية بمنظار اجتماعي، نفيسة الفتاة الريفية التي هربت من القرية إلى العاصمة للدراسة، فالكاتب يصور نفيسة اجتماعيا ملتصقة بواقع معقد فهي من أصل إقطاعي ووصفها هذا جعلها تحتك بالقيم الإقطاعية في الريف، وبالقيم التحررية في المدينة، إضافة إلى العجوز رحمة وخيرة و أم رابح هؤلاء يمثلن الحياة الاجتماعية للقرى عامة في الجزائر، فالحياة الاجتماعية آنذاك حياة كلها جوع وفقر وحرمان وللأسف المرأة هي التي تدفع الضريبة إضافة إلى بن هدوقة نجد رشيد بوجدرة يقدم مثالا للمرأة المضطهدة في الطلاق، فشخصية سعيدة تخضع لسلطة

[1] جبور أم الخير، المرجع السابق، ص: ٢٦٧

الرجل الذي أباد في داخلها كل استعدادات الثورة ولقيت مصير معظم النساء الجزائريات أدى بها الضغط النفسي إلى مستشفى الأمراض العقلية.

فالمرأة رغم كل الضغوطات التي تعيشها فقد كانت تحاول أن تبتعد عما هي فيه من مرارة و يأس و ألم لتخرج إلى الدنيا لكنها وجدت كل ما حولها يحطم نفسيتها و يقيد عزيمتها فاستسلمت لليأس.

٣ . قضية الوطنية:

الوطنية نزعة إنسانية تجعل كل امرئ يحب التراب الذي درج عليه والجو الذي عاش فيه وقد شغل موضوع الوطنية الحيز الأهم عند كتاب الرواية الجزائرية فـ "نجمة" للروائي كاتب ياسين مثال ساطع عن القضية الوطنية إذ جعل كاتب ياسين الفتاة نجمة بطلة لروايته برمزية اسمها فالنجمة دائمة الوجود في السماء ولا يمكن يوما أن تكون في الأرض، فالرمز يحيط بهذا الاسم "كانت نجمة ترمز إلى الجزائر" وقد صرح كاتب ياسين : "لم أكن أريد وأنا أكتب الرواية، أن نحكي قصة هذا الحب، و إنما كنت أريد أن أقول كل شيء عن الجزائر و أن أعطي عنها صورة فنبرز ذلك في صورة المرأة"[١].

كما نجد المعلم حسن في رواية الدار الكبيرة لمحمد ديب يتحدث عن الوطن "الوطن هو أرض الآباء هو البلد الذي نسكنه منذ أجيال" [٢] "وحين يأتي من خارج الوطن أناس أجانب يدعون أنهم السادة فإن الوطن يكون في خطر" [٣]، فهنا نجد حسن رغم الموقف المتأرجح بين الحقيقة والصمت إلا أنه فضل إعلاء الوطن رغم معرفته بعواقب ما فعله.

---

[١] أسماء خويدمي، نوال شاعة ، صورة الآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية "رواية أشباح الجحيم " لياسمينة خضرة أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة ماستر في اللغة والادب العربي، جامعة الجيلاني بو نعامة، ص: ١٨

[٢] محمد ديب، الدار الكبيرة، تر : سامي الدروبي، (روايات الهلال)، دار الهلال القاهرة، ع ٢٦٦، أكتوبر ١٩٧٠، ص: ٢٤

[٣] نفسه، ص: ٢٤

٤ . قضية الطفل:

انعكست الحالة المزرية التي تسبب فيها الاستعمار الفرنسي في الجزائر على كافة فئات المجتمع من رجال ونساء ولم يستثن حتى الأطفال، فكان للطفل نصيب في الأدب تحديدا في الرواية الجزائرية فتنوعت الشخصيات حسب المنظور الذي يرى منه الروائي والحالة التي يتناولها و نظرا لأهمية هذه الفئة فقد ظهر أدب باسمهم هو "أدب الأطفال"، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية هذه الفئة في المجتمع باعتبارها تعيش في حيز مجتمعي ينعكس عليها كل عاداته و تقاليده، فالمجتمع هو المحيط الثاني الذي يتلقى الطفل ويحتضنه بعد أبويه و أسرته و يغرس فيه أهميته.

ولنا في الرواية الجزائرية أمثلة أبرزها ثلاثية محمد ديب و رواية نجمة لكاتب ياسين ،فعمر الطفل الصغير يجد نفسه في بيئة ملؤها الفقر و الحاجة بلا أب و مع أم علمتها قساوة الحياة القسوة "طفل تحول من براءة الأطفال إلى نضج الرجال وفهم معنى الرجولة" [١]، وبالمثل نجد في رواية نجمة الطفل لخضر "وهو تلميذ في المدرسة و في غمرة أحداث ٠٨ ماي يطالب باستقلال الجزائر"[٢] فكاتب ياسين صور لنا الوعي السياسي مجسدا في الطفل لخضر هذا الطفل الذي حمل هموم الجزائري في تلك الفترة.

[١] جبور أم الخير، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيونقدية، ص: ١٥٦

[٢] نفسه، (ملحق).

• رابعا: أهم أعلام الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية:

يعتبر ظهور الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية نتيجة الاحتلال الفرنسي للجزائر الذي أدى باحتكاك الجزائريين بالثقافة الغربية، فظهر مجموعة من الأدباء كتبوا باللغة الفرنسية ومن أهمهم:

- مولود فرعون:

ولد مولود فرعون ٠٨ مارس ١٩١٣، قبيل الحرب العالمية الأولى، بمنطقة تيزي هبيل بالقبائل العليا وينتمي إلى آل شعبان، إلا أن الاحتلال هو الذي أعطاه اسم فرعون، كما تؤكد الناقدة **سيلفي تينو** في مقالة بعنوان: " مولود فرعون، كاتب في خضم حرب الجزائر "، ولد فرعون في عائلة فقيرة وفي مثل تلك الظروف كان يسهل التنبؤ بمستقبله راعي أغنام في قريته، فعلى الرغم من الفقر المدقع، أصر والده على إرساله إلى المدرسة الابتدائية، ثم التحق بالمدرسة الإعدادية بتيزي وزو عام ١٩٢٨، ثم عين معلما بتيزي هبيل سنة ١٩٣٥، وتزوج بابنة عمه ذهبية وأنجبت ٧ أولاد ، وفي ١٩٤٦ تم نقله إلى توريت عدن Taourit Aden، وفي ١٩٥٢ عين مديرا بمسقط رأسه، وفي ١٩٦٠ عين مفتش للمراكز الاجتماعية كان قد أسسها أحد الفرنسيين في ١٩٥٥ وهي الوظيفة الأخيرة التي أشتغل بها قبل أن يسقط برصاص الغدر والحقد الاستعماري في ١٥ مارس ١٩٢٦[١].

- مؤلفاته:

ـ رواية " ابن الفقير " ١٩٥٤

ـ رواية "الدروب الوعرة " ١٩٥٧

[١] مولود فرعون، رواية ابن الفقير، تر، نسرين شكري ، سلسلة الابداع القصصي، القاهرة ، ط١ ، ص: ٩، ١٠

- مولود معمري:

ولد ١٨ ديسمبر ١٩١٧ بتوريت ميمون بالقبائل الكبرى، وفي ١٩٢٨ أمضى مرحلة المراهقة عند عمه ثم عاد بعد أربع سنوات، أكمل دراسته بثانوية Bugead حاليا ثانوية الأمير عبد القادر بالعاصمة، وفي ١٩٣٩ مع بداية الحرب العالمية الثانية جند وشارك فيها لغاية أكتوبر ١٩٤٠، سجل في كلية الآداب بالعاصمة، ثم جند مرة أخرى سنة ١٩٤٢ بعد التحاق الأمريكان بالحرب العالمية الثانية، وبعد نهاية الحرب العالمية، التحق بامتحان الأستاذية بباريس وعاد، إلى أرض الوطن سنة ١٩٤٧ أصبح أستاذا بمدية ثم ببن عكنون، وفي ١٩٥٧ أثناء حرب التحرير، انتقل إلى المغرب إلى غاية ١٩٦٢، وبين ١٩٦٥و ١٩٧٢ درس الأمازيغية، وأصبح في سنة ١٩٦٩ أستاذ بجامعة العاصمة ، وفي ١٩٨٢ أسس بباريس، مركز الدراسات والأبحاث الأمازيغية CERAM ومجلة " أوال " parole . نال سنة ١٩٨٨ درجة الدكتوراه الشرفية من جامعة السربون.

توفي في ٢٦ فيفري ١٩٨٩ بعد حادث سير بعين الدفلى[١].

- مؤلفاته:

- رواية " الهضبة المنسية " ١٩٥٢
- رواية " سبات العادل "١٩٥٥
- رواية " الأفيون والعصا " ١٩٦٥
- رواية " الجولة " ١٩٨٢

[١] جبور أم الخير، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيونقدية ، (ملحق) .

- كاتب ياسين:

ولد سنة ٢٧ أو ٦ أوت ١٩٢٩ بقسنطينة من عائلة شاوية بربرية، والده كان محاميا وجده باشا عادل (نائب القاضي)، التحق في سنة ١٩٣٤ بالكتاب أو بالمدرسة القرآنية بسدارة، وفي سنة ١٩٣٥ التحق بالمدرسة المدنية الفرنسية بضواحي سطيف بعد انتقال عائلته هناك، و أصبح سنة ١٩٤١ تلميذا داخليا بثانوية " ألبرتين Albertin " بسطيف والتي تحولت بعد الاستقلال إلى ثانوية القيرواني، في ١٩٤٥ كان في القسم الثالث ويقبض عليه بعد ثلاثة أيام من هذه الأحداث لمدة شهرين ويطرد من المدرسة، نقله والده بثانوية بعنابة ويلتقي هناك بنجمة (ابنة عمه المتزوجة) ، انتقل إلى باريس سنة ١٩٤٧، وبين ١٩٤٩و ١٩٥١ اشتغل صحفي بيومية Alger républicain كان زميله في المهنة " محمد ديب "، وفي ١٩٥٢ اشتغل عاملا يدويا Docker الجزائر العاصمة، ومن هذه الفترة إلى غاية ١٩٥٩ انتقل إلى باريس وعمل مع "مالك حداد"، في ١٩٦٢ عاد إلى الجزائر بعد جولة قادته إلى القاهرة ودول أوروبية و إفريقية عديدة (ميلان ، بروكسيل ، تونس ، بون ستكهولم، برلين ...)، رجع يكتب بجريدة Alger républicain . وبين ١٩٦٣ و ١٩٦٧ تجول بين موسكو، ألمانيا وفرنسا، زار الفيتنام سنة ١٩٦٧، واستقر بالجزائر سنة ١٩٧٠ وترك اللغة الفرنسية والتفت إلى كتابة المسرح بالعربية الدراجة، وفي ١٩٧١ بدأ العمل مع فرقة المسرح بالقبة وقام بجولات لعرض المسرحيات التي ألفها بكل المدن الجزائرية لمدة خمس سنوات، نقل سنة ١٩٧٨ من قبل السلطات الجزائرية إلى مدينة سيدي بلعباس، وكتب سنة ١٩٨٦مسرحية المناضل " نيلسون مانديلا "، نال سنة ١٩٨٧ الجائزة الوطنية للآداب، وفي ١٩٨٨ استقر بفرنسا Vercheny (Drome) وسافر إلى الولايات المتحدة وتردد على الجزائر، توفي ٢٨ أكتوبر ١٩٨٩[١].

[١] جبور أم الخير، المرجع السابق، (ملحق) .

- مؤلفاته :

ـ رواية "نجمة" ١٩٥٦

ـ رواية "النجمة المضلعة" ١٩٦٦

- مالك حداد :

ولد بقسنطينة يوم ٥ جويلية ١٩٢٧، دخل المدرسة سنة ١٩٣٣، كان يتابعه والده وينصحه بقراءة " موبسان، ديكنز، دودي، فلوبير، بلزاك، ستندال " في ١٩٤٥ يتابع دراسته بالثانوية، نجح في البكالوريا سنة ١٩٤٨ بشعبة آداب والفلسفة، اشتغل معلما وشارك بمقالاته Alger Républicain et Liberté تزوج ثم انفصل سنة ١٩٥٢، درس الحقوق بـ " أكس أبروفانس" ثم تخلى عن ذلك سنة ١٩٥٤، بعد ١٩٥٤ التقى مع كاتب ياسين وعمل معه كمزارع ثم عمل بمحطة الراديو (بين ١٩٥٨ و ١٩٦١)، كتب رواياته بين ١٩٥٤ و ١٩٦٢ ويقضي أيامه في المنفى، بعد ١٩٦٢ استقر بقسنطينة وأصبح مسؤولا عن أدارة يومية "النصر" من سنة ١٩٦٥ إلى ١٩٦٨، وبين ١٩٦٨ إلي ١٩٧٢ عين مديرا للثقافة بوزارة الاتصال والثقافة بالجزائر، عين أمينا لإتحاد الكتاب الجزائريين سنة ١٩٧٤، وفي ١٩٧٧ و ١٩٧٨ يشتد المرض ويجري عملية جراحية ، توفي ٢ جوان ١٩٧٨ بعد مرض عضال[١].

- مؤلفاته:

رواية " الانطباع الأخير" ١٩٥٨

رواية " سأهبك غزالة " ١٩٥٩

رواية " التلميذ والدرس" ١٩٦٠

ـ رواية " رصيف الأزهار لا يجيب" ١٩٦١

[١] نفسه، (ملحق).

الفصل الثانـي

ملامح المجتمع الجزائري من خلال رواية "الدار الكبيرة"

- **أولا: تمهيد:**

١. نبذة عن المؤلف:

ولد محمد ديب بمدينة تلمسان في ١٢ جويلية١٩٢٠م، و انحدر من (أسرة بورجوازية حرفية، اشتغل أبوه في التجارة وصناعة الزرابي)، لم يتردّد محمد ديب على المدرسة القرآنية لحفظ القرآن الكريم، و لكنه بدأ دراسته بمسقط رأسه و واصلها في مدينة وجدة بالمغرب الأقصى، فأتقن اللغتين الفرنسية التي تعلّمها في المدارس الفرنسية، والعربية الدارجة،و اتخذ من الأولى وسيلة للتعبير(الكتابة) في حين كانت الثانية وسيلة للتفكير .

ورث محمد ديب عن والده مهنة النسيج، و تداول على عدة مهن، إذ اشتغل محاسباً ومعلماً في المرحلة الابتدائية، حيث عين سنة ١٩٣٩م مّدرساً في قرية صغيرة جداً، تقع على الحدود الجزائرية المغربية، تدعى "زوج الْبغْل"، و كان فيها يدرس حوالي عشرين طفلاً أغلبهم من أبناء الّرحل، و اشتغل بعدها موظفًا في السكة الحديدية الجزائرية بمدينة وجدة، ثم مترعاً لدى الحلفاء، من وإلى الفرنسية و الانجليزية، و بعودته إلى تلمسان اشتغل مصممًا للزرابي التي كان يشرف على صناعتها.

بدأ محمد ديب في نشر نصوصه في المجلات والصحف الناشطة منذ سنة (م١٩٤٦)ومن بين تلك المجلات مجلة Forge التي نشر فيها سنة(١٩٤٧م) قصيدته "Vega"، وفي سنة (١٩٤٨م)، استدعي للقاءات منظمة في سيدي مدني قرب مدينة البليدة،حيث جمعت تلك اللقاءات بين الأدباء الفرنسيين والجزائريين، وهناك تعّرف ألبير كاميcamus Albert، بريس برانParin Brice، وجون سيناك SenacJean، حيث شكل رفقتهم ما يعرف بمدرسة الجزائر، والتي كانت تضم عدداً من الأدباء الجزائريين أيضاً، من أمثال كاتب ياسين، و مالك حداد مصطفى الأشرف ومحمد الشريف ساحلي الذين كانوا يحّررون وينشرون مقالات وإبداعات في العديد من الصحف والمجلات، وكانت كتاباتهم لا تختلف عن تلك التي يقدمها المستوطنونالفرنسيون،لاسيما الشكل الفني،وقد سمحت هذه التجربة لمحمد ديب بأن يزور فرنسا لأول مّرة برفقة وفد الأدباء الجزائريين.

في سنة ١٩٤٩م انضم ديب إلى نقابة الفلاحين الجزائريين، وسافر في مهمة إلى فرنسا للدفاع عن حقوق عمال الأرض الجزائريين، وفي المدة الممتدة ما بين ١٩٥٠م ١٩٦٢م اشتغل محمد ديب صحفيًا في جريدة الجزائر الجمهورية republicainAlgerبرفقة كاتب ياسين، حيث أنجزا تحقيقات صحفية وأبدعا نصوصًا شعرية، كما تتبّعا أخبار المسرح الناطق بالعربية وكتب محمد ديب أيضاً في صحيفة الحرية Liberteالناطق الرسمي باسم الحزب الشيوعي و تزوج محمد ديب سنة ١٩٥١ م بكوليت بيليسان Belissant Colette التي أنجبت له أربعة أولاد.

تخلى محمد ديب عن العمل في صحيفة الجزائر الجمهورية لظروف العمل القاسية، وعدم التمكن من تحقيق طموحاته على مستواها ليتفّرغ للكتابات الأدبية، وكذا لتغّير المساعي التي كان يهدف تحقيقهاعلى مستوى هذه الصحيفة ذات التوجه الشيوعي، حيث اكتشف أن الحزب الشيوعي(لم يكن ثورياًصادقًا وأن مثالية بعض أعضائه من المستوطنين مظهرية فقط؛ فتحول عن نشاطه في الحزب وراح يمارسه في الأدب –بصورة فردية– (....)بعد أن غّير أسلوب العمل ووسيلة الكفاح)ونظراً لمواقفه المعادية للسلطة الفرنسية في الجزائر، تم نفيه سنة(١٩٥١م)، أقام في مدينة موجان Mouginsالواقعة في منطقة الألب ماريتيم "maritimesAlpes Lesعند أهل زوجتهومن هناك بدأ رحلاته إلى أوربا الشرقية، حيث جال وصال في بلدانها، و زار ألمانيا الشرقية وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا، و استقّر سنة (١٩٦٤م) بباريس في مدينة "مودون" Meudon– la– foret، ثم استقّر بسال سان كلو Cloud Saint، إحدى ضواحي باريس غير البعيدة عن فرساي Versaille .

وفي السبعينيات من القرن الماضي (أقام محمد ديب بالولايات المتحدة من أجل إلقاء محاضراتفي جامعة كاليفورنيا، وفي عام ١٩٧٥سافر إلى فنلندا لحضور مناقشة أدبية)،وبقي حتى سنة١٩٨٠م ، بين رحلاته إلى فنلندا وأمريكا حيث كانت نشاطاته الأدبية و إسهاماته واسعة عبر حضوره للقاءات أدبية و نشره لمقالات و إلقاء محاضرات جامعية. وفي سنة (١٩٨٢م حتى ١٩٨٤م) أصبح أستاذاً مشاركاً في المركز الدولي للدراسات الفرانكفونية بجامعة السوربون في باريس.

أصيب محمد ديب سنة (١٩٨٤م) بمرض عضال، أودى بحياته في الثاني من شهر ماي سنة ٢٠٠٣م ودفن بفرنسا وقد ذكرت زوجته أنه مات على الإسلام ودفن بمقبرة في سال سان كلو في مربع خاص بالمسلمين كما أوصى بذلك، رحل الرجل العظيم تاركا اسمه ومكانته الخالدة في الموسوعة السوفيتية الكبيرة سنة (١٩٧٠م)، وفي literature world of Encyclopedie‘L the in Century)موسوعة الآداب العالمية في القرن العشرين(كما كان اسمه حاضراً في العديد من إصدارات لارووسLarousse منذ (١٩٧٩م)، ومختلف القواميس منذ (١٩٦٥م)[١].

٢ . ملخص عن رواية "الدار الكبيرة":

هي الرواية الأولى للكاتب، صدرت عن دار لوساي (Le seuil) عام ١٩٥٢، وقد أشار الكاتب إلى صعوبة النشر في تلك الفترة الحرجة إذ يقول: " لم يكن ممكنا آنذاك للشباب الجزائري هواة الأدب أن ينشروا فكان ذلك عالما محرما، وهذا لا يرجع لكوني كاتبا ناشئا بل لكوني جزائريا"، و"الدار الكبيرة " هي الجزء الأول من ثلاثية الجزائر وتتناول مجموعة أحداث تدور في "دار سبيطار" وهي دار كبيرة بمدينة تلمسان تسكنها مجموعة من العائلات الفقيرة، وهذه الدار استعملت كمستشفى خلال الحرب العالمية الأولى ، تدور أحداث الرواية بين (١٩٣٣ و١٩٣٩).

تضم "دار سبيطار" مجموعة كبيرة من السكان معضمهم من الفقراء الذين لا يجدون قوت يومهم ، وضمن هذا التجمع تدور أحداث رواية "الدار الكبيرة". بطل الرواية الطفل "عمر" الذي لا يتجاوز الاثني عشرة عاما ، كان همه الوحيد الحصول على الخبز بأي طريقة ، فقد كان يقدم بعض الخدمات ل"يمينة " فتكافئه بقطعة خبز ، أما أمه " عيني" فهي رمز للمرأة المكافحة والتي كانت تعمل بشتى السبل لكي يتطعم ولدها وبنتاها (مريم وعويشة) و"الجدة" التي كانت تعاملها عيني بقسوة شديدة، فنجد "لالا حسنة " التي كانت تساعد عيني وتقدم لها في بعض الأحيان قليلا من الخبز ، أما "حميد سراج" الرجل المثقف ذو الصورة

---

[١] عالية رزوقي ، " الابداع الادبي لمحمد ديب بين المسؤولية الوطنية والمواكبة الحضارية " ، مجلة الدراسات اللغوية و الأدبية، (هيئة الصدور)ع ٢ ، ٢٠١٤ ص: ٢٣٣، ٢٣٤ ، ٢٣٥

الحسنة الذي يعتبر رجلا ثوريا يناضل من أجل وطنه والملاحق دائما من قبل الشرطة . فالرواية تتناول أوضاع المجتمع الجزائري من خلال تناول الأشخاص في هذا المجمع السكني ، وكيف كانوا يعيشون ويفكرون ويتعاملون مع بعضهم البعض ، فالاستعمار الاستيطاني شديد الوطأة على الشعب ، حيث أنه يتعامل مع المواطنين بطريقة وحشية ودونية ، من هنا تكون مشاعر الوطنية حية لكنها لا تظهر، وذلك بسبب القسوة التي يعامل بها المحتل المواطنين ومثال ذلك " الأستاذ حسن" . كانت الحياة في "الدار الكبيرة" مليئة بالاضطرابات والنقاشات الحادة والمعارك الكلامية التي لا تكاد تنتهي بين النسوة كل هذا بسبب الحالة المزرية وبسبب الضغوط النفسية والفقر الذي ينخر العائلات ، مع مرور أيام من المعاناة أصبحت "عيني" تعمل في مصنع لصنع الأحذية، وكانت كل يوم سبت تأخذ معها "عمر" ليتأكد من المبلغ الذي يدفعه الرجل لأمه صحيح ، أما البنتين (مريم وعويشة) فهما تعملان في مصنع للسجاد وأصبح بإمكانهما مساعدة أمهما في إعالة البيت والحصول على خبز أكثر ، بعدها حصل تغيير في هذا البيت وأصبحت "عيني" تبقى مدو أطول مع الجدة ولا تشاجرها ، ولقد كان من الحين إلى إلى آخر سكان "دار سبيطار" يسمعون صوت صفارة إنذار عدة مرات متتالية تعلن على الحرب فتخلو الشوارع ، خرج عمر ذاك الوقت ليشتري الخبز لكنه نسيه وعاد إلى البيت أخبرته أمه بالذهاب لإحضار الخبز الذي نسيه ذهب في الليل إلى الفرن لكن لسوء حظه وجده مغلقا فذهب إلى بيت صاحب الفر ن أخذ اخبز وعاد مسرعا إلى البيت فابتسم وقدم الخبز لأمه ، ثم جلس مع الجميع أمام المائدة وأخذ يراقب أمه وهي تقطع الخبز على ركبتيها.

• ثانيا: المجتمع الحزائري كما تصوره رواية "الدار الكبيرة":

حاولت رواية "الدار الكبيرة" أن ترسم لنا صورة صادقة عن المجتمع الجزائري في مرحلة المعاناة الاستعمارية، ويمكن أن نقف على جزئيات هذه الصورة من خلال محطات أساسية تتجلى فيها معاناة هذا المجتمع:

١ . المبحث الأول: ملامح الفقر:

كان الفقر السمة البارزة التي طغت على المجتمع الجزائري اثناء الحقبةالاستعمارية و انعكس على أجساد الفقراء الضعيفة المنهارة و الدور البسيطة التي يقطنها هؤلاء الفقراء والملابس الرثة التي تلبسها هذه الفئة أو الأمراض الجسدية أو العقلية الناتجة عن حالة البؤس والحرمان .

وتجسد بصورة واضحة في رواية الدار الكبيرة تحديدا الطفل عمر كمثال دقيق عما يعانيه الجزائري بكل تفاصيل واقعه المرير، فما اشقى هذا الطفل الذي لا يتوقف عن التفكير ومسائلة النفس ،هل سيأكل اليوم؟ام سيظطر إلى الانتظار كالعادة؟ فالطفولة في الفترة الجزائرية لم تكن بعيدة عن معاناة الكبار وبؤسهم ، فكان عمر منشغلا بفكرة الجوع يطارد هذا الهم فكلما خرج من البيت حمل قطعة خبز.

فمحمد ديب في تصوير له للمدى الذي وصلت اليه معاناة الجزائريين من الفقر والجوع اختار ان يبدأ بصورة حية ناطقة متحركة بمشهد صادم ففي ساحة المدرسة اثناء الاستراحة ،حيث يفترض ان يلعب الأطفال ويستمتعون بوقتهم ويمرحون متمتعين بلحظات البراءة ، ينقلنا الكاتب الى حالة مناقضة الى لعبة مفضلة « لعبة التسول » هي حالة من القلق والبحث عن لقمة العيش بطلها عمر، ذلك الصبي الذي اعتاد ان لايشبع والف الجوع فشخصه فأصبح اقرب أصدقائه يلازمه على طول الطريق .

« هات قليلا مما تأكل ...»[١]

[١]محمد ديب، الدار الكبيرة، تر: سامي الدروبي، دار الهلال، ع ٢٦٢اكتوبر ١٩٧٠، شعبان ١٣٣٩، القاهرة، ص: ١٤

« قال عمر ذلك ، وهو يقف أمام رشيد بري »[1]

«ولم يكن رشيد وحيدا ،فإن شبكة من الايدي قد امتدت تلح كل منها طلب نصيبها من الصدقة، فاقتطع رشيد لقمة صغيرة من الخبز فوضعها في اقرب راحة إليه .

وأنا..... وأنا

أنا ما أعطيتني .....

حليم أخذ كل شيء.

..... أنا ما أخذت شيئا

فما كان من الصبي، وقد انصب عليه التحرش من كل صوب ، الا ان اسرع يهرب ، فركض وراءه السرب كله يعوي وينبح . أما عمر فقد ترك الملاحقة ، لأنه قدر أنها لن تجدي .»[2]

فالمدرسة هنا تحولت من فضاء الدراسة والمعرفة الى فضاء البحث عن الطعام بين أبناء الأغنياء، فعمر ذلك الصبي الذي حرم من اب يعوله ويعول أسرته أدرك أن الحصول على لقمة العيش أو قطعة الخبز ليست بالأمر اليسير، بل يتحقق ذلك بمجهود عضلي . فأصبح يحسب له ألف حساب ويهاب بين رفقائه الأصغر سنا أو الأضعف بنية ، لأنهم يعلمون أنه سينتزع الرغيف بوثبة واحدة غير مبالي بالقانون االداخلي أو الخارجي للمدرسة ولأن عمر يختار ضحاياه من الضعاف كان يخير بعض التلاميذ الميسورين بين أن يقدموا طواعية نصف نصيبهم من الخبز أو الضرب المبرح[3] .

« فيتناول عمر طربوش الصبي ، ويرميه على الأرض ويأخذ يدوسه بقدميه ، بينما يأخذ المذنب يعول عويل كلب معذب .» [4]

---

[1] نفسه، ص: ١٤

[2] نفسه، ص: ١٤

[3] ينظر: جبور أم الخير، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيونقدية، ص: ١٦١ ، ١٦٢

[4] ينظر: جبور أم الخير، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيونقدية، ص: ١٦١ ، ١٦٢

وعلى الرغم من السلوك المشاكس لعمر فإنه صاحب شخصية كريمة بعيدة عن الأنانية ، فعمر الذي ينتزع الطعام من الضعاف هو نفسه الذي يمنح ضعاف الآخرين نصيبهم من الخبز دون أن يجرح كرامتهم ، فها هو ذا يسقط قطعة الخبز أمام « معطف الكاكي » متظاهرا بعدم الإنتباه لذلك متحسسا ما إذا كان ذلك الصبي التقط قطعة الخبز أو لا .

«... صبي صغير هزيل ، له عينين قاتمتان كأنهما من فحم ، وله وجه شاحب قلق، كان واقفا وحده بعيدا عن التلاميذ . راقبه عمر: أنه مستند إلى عمود في ساحة المدرسة ، وقد جعل يديه وراء ظهره ... إنه لا يلعب .. دار عمر حول الساحة ، وظهر من وراء شجرة دلب ، واسقط بين قدمي الصبي ما كان قد بقي له من قطعة من الخبز منه ، وتظاهر بأنه لم ينتبه إلى سقوط قطعة الخبز منه ، واستمر يركض حتى إذا وصل إلى مكان يبعد عن الطفل مسافة كافية ، توقف وأخذ يتجسس عليه . فرآه يحدق إلى كسرة الخبز من بعيد ثم يتناولها خلسه ، يلتهمها .»[1]

فلعمر وسائل كثيرة في الحصول على الطعام ففي المدرسة كانت عن طريق العنف ضد أطفال أغنياء وسلب طعامهم ، أما في « دار سبيطار» فتعود على تقديم بعض الخدمات للجيران مقابل بقايا الطعام وهي عادة لاتزال تمار في الأحياء الشعبية وهي بعيدة أن تكون صدقة

« كانت يمينة، وهي امرأة قصيرة حلوة القسمات ، تعود من السوق في كل صباح بقفة ملأى . وكثيرا ما كانت ترجو عمر أن يقوم عنها ببعض الأعمال . يشتري لها الفحم ، وبملأ دلوها من ماء العين ، ويحمل عجينها إلى الفرن ... فكانت يمينة تكافئه عند عودته بقطعة من الخبز مع ثمرة من الفاكهة أو فلفلة مشوية .. حتى لقد كانت تعطيه من حين إلى حين قطعة من اللحم أو سردينةمقلية . وكانت في بعض الأحيان تناديه بعد الغداء أو العشاء ...»[2]

---

[1] نفسه ،ص: ١٦

[2] الدار الكبيرة، ص: ١٦

وإذا تبقى لها من الغداء أو العشاء شيئا قدمته له مع قطعة خبز .« كانت يمينة لا تقدم له إلا بقايا الطعام . ولكنها بقايا نظيفة ، لا يستطيع أكثر الناس تشددا أن يجدوا مأخذا عليها .»[1]

يعلم الفقير كيف يتعامل مع حاجاته فهو يتحايل على الجوع قدر استطاعته و ما أمكنه ذلك فنساء « دار سبيطار» كعيني و زليخة اللواتي لا يجدن شيئا يؤكل في البيت يلجأن إلى حيلة ملأ القدر بالماء و تركه يغلي حتى ينام الأطفال متعبين من الانتظار ومعتقدين أن ما يحظر وجبة العشاء.

« كانت عيني ، فيما مضى من الزمان ، تستطيع أن تهدئهم بحيلة ماكرة: كانوا يومئذ صغارا.

كان يكفي أن يكون عندها قليل من الفحم ، عند المساء ، حتى تملأ الحلة ماء ، وتدع الماء يغلي على النار ، وتطلب إلى أولادها الذين ينتظرون بفارغ الصبر، أن يهدأ قليلا . إنها تقول لهم من حين إلى حين:

اصبروا قليلا .

فكان الأولاد يزفرون زفرات إذعان . وكان الوقت ينقضي.

سيكون الطعام جاهزا بعد لحظة .

وفيما هي تقول لهم ذلك ، يغلبهم نعاس لا حيلة لهم في دفعه ، فتطبق أجفانهم بثقل كأنه ثقل الرصاص . وكانوا ينامون .. »[2]

« أما زليخة ، التي تسكن تحت ، تلجأ إلى هذه الحيلة نفسها مع أولادها .. وهم أربعة صبيان لا يكادون يقوون على الوقوف على أقدامهم الرخوة . كان الخبز يعوزها في أحيان كثيرة ، كما كان يعوز عيني . وكانت تصرخ قائلة لأبنائها :

---

[1] نفسه، ص: ١٦

[2] المصدر السابق، ص : ٤٨

ماذا تريدون مني؟ ماذا تريدون من هذه المسكينة ؟ إنكم تجلبون لي العار. أين عساي أبحث لكم عن الخبز ؟

وكانت تتناول عندئذ قبضة من الفاصوليا الجافة ،فتقذفها لهم في أرجاء الغرفة ، فيرتمي الصغار على الأرض يبحثون عنها ، حتى إذا عثر أحدهم على واحدة من تلك الحبات البيضاء المبعثرة ، راح يقضمها . وكان الصغار يهدؤون ،وكانت الأم تنعم عندئذ بالراحة إلى حين .»[1]

ومن هنا نستطيع أن نتخيل مدى الفرح الذي يشعر به هؤلاء الفقراء المحرومون الجياع إذا ما جاءتهم هدية ما، والهدية غالباً ما تكون سلة من الطعام. إن رؤية الطعام كفيل بأن يذهب بلبهم. فقد حضر ابن خالة عيني إلى الدار الكبيرة لزيارة قريبته فيها، ولما لم يجدها ترك لها سلة من الخضار والفواكه هدية، فجن جنون الأسرة، «كانت عيوشة ترقص، إنها تركض من أول الغرفة إلى آخرها، ملوحة بيديها، منادية أمها بعبارات رقيقة، ثم دارت حول نفسها على قدم واحدة، وظلت ترقص»[2].

«فلما ألفت أعينهم عتمة الغرفة، رأوا مريم جالسة قرب سلة من الخيزران في مثل حجمها، وقد أدخلت ذراعها في عروة السلة كما يمسك المرء بذراع صديق. إن هذه السلة ذات الكرش الضخمة تبدو مترعة. لم تر عيني في حياتها سلالاً كهذه السلة...

...البنتان تدوران وهما تغنيان، وتتجولان في الغرفة ذهاباً وإياباً: بطاطس، خرشوف... لحم... لقد ذهبت السعادة بعقليهم»[3].

وهناك إلى جانب الجوع والفقر، المرض الذي يودي بحياة الناس، ويضاعف من بؤس أسرهم، وهذا ما حدث لوالد عمر الذي كان نجاراً مشهوراً فأودى مرض الصدر به وبأحد أبنائه. وهنالك الجهل والعمل المضني، واستثمار أصحاب العمل للعمال والعاملات، وثمة البطالة تسيطر على غالبية الأفراد فتدفعهم إلى الفقر والعوز والجوع.

---

[1] نفسه، ص: ٤٩

[2] نفسه، ص: ١١٩

[3] الدار الكبيرة، ص: ١٢٠

يقول محمد ديب: «لم يكن بالمدينة عمل كثير،الفعلة وعمال النول وصناع البوابيج يسجلون في قوائم العاطلين، ولكن لا يتقاضى منهم شيئاً بطبيعة الحال إلا أولئك الذين يذهبون إلى ورش العاطلين التي تنشأ لتعمل بضعة شهور، والمسجلون يقبلون في هذه الورش أسبوعين أو ثلاثة ثم يفسحون المجال لغيرهم. والقوائم طويلة، وكثيرون ينتظرون دورهموالناس جميعاً جياع.

...إن عمال النول ينقطعون عن أي عمل خلال الأسابيع الأخيرة من الربيع، وخلال الصيف كله، أي خلال نصف السنة تقريباً. لا عمل لهم طوال هذه المدة. وكذلك صناع البوابيج. ذلك أن هؤلاء جميعاً إنما ينتجون لسكان القرى. وسكان القرى لا يشترون إلا حين يفرغون من الحصاد. وهكذا فإن أصحاب الحرف من أهل المدينة يقضون نصف السنة في محاولة تسجيل أسمائهم في ورش العاطلين...».[١]

إلا أن الرواية لا تكتفي بتصوير الواقع بل تسعى إلى معرفة سبب هذا الواقع الفاسد، من خلال رؤية البطل الصغير ومشاعره وأحاسيسه، ومحاولته التفسير والفهم، ومن خلال صرخات شخوص الرواية واحتجاجهم ونقمتهم وتساؤلاتهم الأليمة الملحة، وهذا ما يعطي الرواية بعداً فكرياً أصيلاً. فعمر يعرف الفقراء الذين يحيطون به ويعي الفقر إلا أنه يريد أن يعرف سبب هذا الفقر: و«لكن لماذا نحن فقراء؟ لا أم عمر ولا النساء الأخريات كانت تجيب عن هذا السؤال. كان بعضهم يقول أحياناً: هذه قسمتنا، أو: الله أعلم. ولكن هل هذا إيضاح؟ كان عمر لا يفهم كيف يكتفي أحد بمثل هذه التفسيرات. لا، أن تفسيراً كهذا التفسير لا يوضح شيئاً، هل كان الأشخاص الكبار يعرفون الجواب الحق؟ هل كانوا يريدون أن يحتفظوا بهذا الجواب مخبأ في صدورهم؟».[٢]

وإلى جانب هؤلاء الفقراء الكثر الذين لا يستطيع أحد أن يحصيهم، هناك الأغنياء، وتظهر الصورتان في ذهن الصبي متعارضتين متعاكستين.

---

[١] نفسه، ص: ١٠٥

[٢] المصدر السابق، ص ٩٢

«وهناك أغنياء: أولئك يستطيعون أن يأكلوا، وبيننا وبينهم حاجز.. حاجز عال عريض كسور من الأسوار... »[1]ويتساءل عمركيف السبيل إذاً إلى رفع هذا السور أو تحطيمه، وهاهو يكاد يتلمس الطريق؟..

"وما من أحد يثور ويتمرد. لماذا؟ الأمر غير مفهوم... ومع ذلك فما أبسط هذا التمرد..»[2].

ويصرخ عمر في أعماقه قائلاً:«لماذا لا يتمردون؟ لماذا لا يثورون؟ أهم خائفون؟ ممَ هم خائفون؟»[3].

كذلك تتجلى الطريقة الواقعية التي لجأ إليها محمد ديب في أقسى صورها وأعنف أشكالها، حين صور الجدة المريضة التي حملت إلى الدار وألقى بها في بيت ابنته. يصف محمد ديب هذه الجدة المهملة المرمية في المطبخ جائعة متألمة، وقد اعتبرتها ابنتها عبئاً عليها، وبرمت بها بسبب الفقر وقلة ذات اليد. فهي لا توليها أية عناية، وهي تتمنى موتها وتصامم عن صرخاتها، حتى كان يوم تفسخ فيها جسمها وانتشرت منه روائح النتن فاجتذبت إليه الكلاب، وحين كشفت عيني الغطاء عنه وجدت الديدان تنهش اللحم الحي. ويبلغ فن محمد ديب الواقعي ذروته في قدرته على التقاط اللمحات والتفصيلات اليومية من حياة الناس الفقراء في دار سبيطار، ولعل من أبلغ اللوحات التي قدمها في هذا المجال وأصدقها وأدقها تلك اللوحة التي صور فيها الأطفال الصغار الذين يملؤون الدار بحركتهم وضجيجهم وصياحهم. يقول في ذلك: «أن الرجال يخرجون بكرة، فما يرون في البيت إلا نادراً، ولا يبقى في المنزل إلا النساء. إن الفناء الذي تغطيه أغصان الدالية المتشابكة يغص بهن، إنهن يملأنه بذهابهن وإيابهن ويزحمن المدخل.

أما في المطبخ فإنهن ما ينقطعن عن الثرثرة حول البئر إلى غير نهاية. وإذا كانت كل غرفة من الغرف تؤوي ضوضاء الأطفال طوال الليل، فإنها تعيد هؤلاء الأطفال سيرتهم

---

[1] نفسه، ص: ٩٣

[2] نفسه ص: ٩٣

[3] نفسه ص: ٩٣

الأولى متى طلع النهار، سيلاً من الفوضى لا يوصف سواء في أعلى أو في أسفل. إنهم يتعاقبون واحداً وراء واحد كأنهم القرود وقد التمعت وجوههم بالمخاط. والذين لا يقدرون منهم على المشي بعد، يزحفون على الأرض وقد ارتفعت آليتهم في الهواء. إنهم جميعاً يبكون أو يزعقون. فلا الأمهات ولا غيرهن من النساء يرين أن من المفيد أن يلتفتن إلى هذا كله. إن الصراخ الذي يفجره الجوع أو تفجره العصبية لا ينقطع سيله، وفي وسط هذا الصراخ ترتفع في بعض الأحيان صيحات حزن ويأس. وكان كل هؤلاء الأطفال يهربون إلى الشارع»[1].

٢ ـ المبحث الثاني: صورة الطفل الجزائري:

من أسرة فقيرة متكونة من خمسة أفراد الأب متوفي «لقد مات منذ مدة طويلة فليس يحتفظ ابنه عمر بأي ذكرى عنه حتى لكأن الصبي قد نشأ بلا أب [2]»

الطفل عمر ذو العشر سنوات من عمره ، فهو واحد من الذين كانوا يعيشون في بيت قديم ضيق جدرانه متآكلة لا يتوفر على أدنى وسائل الراحة ، هذه الوضعية جعلت حياة عمر كلها اضطراب فتاهت منه الطفولة بكل خصائصها ،فعلى طول اليوم لا تسمع الا صرخات أمه عيني التي حصت حنقها من ظروفها الصعبة في وجه عمر ، فهو لايستيقظ على قبل من أمه و صوت حنون كباقي الأطفال في سنه « فلما رأته يفتح عينيه انفجرت قائلة هذا كل ما تركه لنا ابوك ذلك الرجل الذي لا يصلح لشيء ترك لنا البؤس [3]» فهي تحمله مسؤولية الفقر الذي تعيشه.

و وسط هذا الجو المشحون بالصراخ و الشكوى و السبات لم تتأثر شخصية عمر ولم تنتقل عدوى القساوة الى قلبه ، فقد طبعت علاقته بجدية على غير ما كانت عليه أمه تجاه أمها ، فقد كان يعاملها بلطف و طيبة و يمد لها يد المساعدة و نجده يتساءل في نفسه عن

---

[1] الدار الكبيرة، ص: ٦٦

[2] المصدر السابق، ص : ١٠٧.

[3] نفسه ، ص :٣٠ .

سبب معاملة أمه القاسية للجدة فهذه الأخيرة لا ذنب لها «أما تزال حية؟ هل ضربتها أمه؟ وأحس أن كل شيء ينهار من حوله [1]» .

فهنا نلاحظ الطفل الكبير مندمجان في صورة واحدة فالطفل عمر يحمل قلب شخص مسؤول واع ، فالفقر يحمل الانسان أكثر من طاقته ، الفقر الذي كان يعيشه عمر بلغ حده الأقصى فاعظم حلم أصبح يحمله عمر هو أكل شيء مع فتات الخبز هو وشقيقتاه مريم وعوبشة ، وحتى الحلم كانت عيني تحرمهم منه .

ففي المدرسة كان عمر يراوغ ويتسابق مع غيره من الأطفال الذين يمرون بالوضعية المزرية ذاتها ، من أجل الحصول على قطعة الخبز ، فالطفل عمر يتعرض بظاهرة الجوع سواء في البيت أو في المدرسة ، فيلجأ إلى كل طريق لسد جوعه .

وهذا ما نجده في قول الكاتب :

« هات قليلا مما تأكل....

قال عمر ذلك وهو يقف أمام رشيد بري[2]».

ورحلة البحث عن الطعام جعلت عمر يكتسب طبائع أجبره عليها وضعه وحاجته ، فتعلم الحصول على ما يريد بالقوة ، ومبدأ الغاية تبرر الوسيلة « ومضى إلى مكان آخر ، كان هناك صبية آخرون يقضمون خبزهم فطوف بينهم مراوغا خلال مدة أسرع يختفي في وسط المدرسة حيث ابتلعته زوبعة اللعب والصراخ ، ولم يسع الصبي القصير الذي كان ضحية هذا الاغتصاب الا أن أخذ يزعق و هو في مكانه لا يبارحه [3]».

و رغم اكتساب الطفل هذه الطبائع إلا أن روح الطفل الرجل الذي تعلم تحمل المسؤولية وزرع بداخله الرأفة و الطيبة لم تختفي ، فنجد عمر يغتصب الطعام الجوع والاحتياج «دار

---

[1] نفسه ، ص : ٣٥ .

[2] نفسه ، ص : ١٤

[3] نفسه ، ص : ١٤

عمر حول الساحة وظهر من وراء شجرة دلب و أسقط بين قدمي الصبي ما كان قد بقي له من قطعة الخبز وتظاهر بأنه لم ينتبه إلى سقوط قطعة الخبز منه[1]» .

فظاهرة الجوع هذه حرمت الكثير من الأطفال من أن يزاولوا تعليمهم ، وعمر من المحظوظين الذين دخلوا المدرسة على خلاف أختيه عويشة ومريم ، ورغم كل هذه الظروف القاسية ، الطفل عمر كان طفلا ذكيا فلم ينجرف من الأقوال المنتشرة آنذاك في المدرسة و التي كانت تحشو أدمغة المتعلمين بأن فرنسا هي الأم فأمه في البيت لالا عيني«إن أمه في البيت إنها عيني وليس له أمان إثنتان عيني ليست فرنسا [2]»«فرنسا ليست أمه سواء أكانت هي الوطن أم لم تكن هي الوطن [3]»

فقد أدرك عمر و بطريقة عفوية أن كل ما يتعلمه في المدرسة ما هو إلا أكاذيب نلاحظ أن الشارع هو الصدر الحنون الذي استقبل عمر وأقرانه، فليس هناك ملاعب أو نوادي تحتضنهم و تهذبهم « لم يكن عمر يعرف أمكنة لألعابه غير الشارع ،وما كان يمنعه أحد وخاصة أمه ، من أن يهرع إلى الشارع حينما يستيقظ من النوم [4]»فكان ملجأ عمر الشارع لأنه لم يجد في البيت راحته ولا في المدرسة ما يسره ، وماذا تنتظر من أطفال تلفظهم بيوتهم ولا يجدون في المدرسة ما يلبي حاجتهم ويهذب مشاعرهم .

٣ . المبحث الثالث: صورة المرأة الجزائرية:

في هذا الواقع غير السوي نجد "لالا عيني " التي تحمل أفكار المجتمع الذكوري بامتياز، فهي كامرأة شرقية تفكر بأن السيادة أن تكون للرجل ، رغم أن الواقع يفند هذه الفكرة فمن خلال زوجها الذي مات دون أن يترك لها قرشا واحدا « هذا كل ما تركه لنا أبوك ذلك الرجل الذي لا يصلح لشيء ترك لنا البؤس غيب وجهه التراب ، فسقط عليا جميع أنواع الشقاء ....[5]» ، فعيني التي تمثل الكفاح المستمر ضد الحياة ، فقد اجتمع عليها التعب و

---

[1] نفسه ، ص : ١٦.

[2] نفسه ، ص : ٢٣.

[3] نفسه ، ص :٢٣.

[4] نفسه ، ص : ٢٦ .

[5] نفسه ، ص : ٣٠ .

الخوف و المعاناة و الشقاء و قلة الحيلة ، « الشقاء هو حظي في الحياة ...[1]» ، فهي لم تعرف من الحياة إلا القسوة الظاهرة التي باطنها الحنان الجارف ، « عمر ... عمر ... ارجع حمى سوداء تأخذك [2]» ، فقد شمرت عن ساعدها بكل قوة لإطعام أفواه جائعة ، ولكن رغم هذه السلبيات فهي تفكر في رجل المستقبل ، ابنها عمر متى يكبر ويحمل عنها هذا العبئ .

فديب في تصويره للواقع بجميع حقائقه وبصدقه الشامل في عمله الروائي يتأسس على توظيف المرأة صاحبة الشخصية القوية لتستطيع تحمل أعباء أبنائها و توفير الطعام لهم [3].

فقد صورها أدق تصوير على ما تعانيه من مشاق الحياة ووصفها وصفا دقيقا من خلال ملامحها و شكلها الخارجي و الداخلي الذي يعبر على تلك المعاناة ، « لقد اشتد نحولها حتى صارت عظاما طويلة لا يكاد يكسوها لحم ، ان كل ما يصنع فتنة المرأة قد زال عنها منذ مدة طويلة ، لقد ذبلت ذبولا تاما ، وقسا صوتها وتصلبت نظرتها[4]». "فعيني " تبدو أكثر شيخوخة من "لالا حسنة " المسنة وهي لم تتجاوز الأربعين ويعود ذلك الى انعدام الراحة والسعادة ومواجهة صعوبات كبيرة في إعالة اسرتها فبدأت تشيخ قبل الوقت فهي تمارس عدة مهن منها : تنشف الصوف وتعزله وتصنع قبعات وتنام اليل بجانب آلة الخياطة ، فهي تجاهد في سبيل توفير قوت يومهم فهذا الشقاء كله يعجل بتدهور المنظر الخارجي للمرأة بذات ناهيك عن عواطفها التي تدمر تدميرا .

" فعيني " التي تندهش من انعكاس صورتها في المرآة ، تفرغ غضبها عنها تعنيفا للآخرين ، وهنا يتجلى الشكل الداخلي ، فهي تمضي يومها في تعنيف أطفالها وبخاصة "عمر " فلا تتوقف عن شتمه بجميع النعوت.

---

[1] نفسه ، ص : ٣٠.

[2] المصدر السابق، ص :٣٦

[3] جبور أم الخير ، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ، ص :٢٤٣

[4] الدار الكبيرة، ص : ١٠٢

« عمر ... عمر... ارجع حمى سوداء تأخذك[1]» .

« عمر ... ارجع ان كنت لا تريد أن أقطعك تقطيعا [2]» .

فقساوة الحياة ومعاناتها للبؤس والحرمان جعل منها امرأة شرسة ومندفعة و متشائمة هذا ما أثر نفسيا عليها ، فكانت أعصابها تنهار من جراء هذا الكفاح المرير ، فلم تذق طعم الراحة والسعادة و كل ما يهمها هو العمل دون انقطاع كانت في كثير من الأحيان تخاطر بحياتها لتأمين مستلزمات عائلتها ، حاولت الاشتغال في تهريب الاقمشة الحريرية ، كان الخوف من الجمارك يلازمها باستمرار وكان شديد القلق و الخوف عليها من ان تقع في قبضة الشرطة و تدخل اثر ذلك الى السجن ، بل كان ذلك رفضا تاما فهذا دليل على حبه لأمه « إن عمر يثور على هذا و يرفضه رفضا قاطعا بكل ما أوتي من قوة [3]»

وتعد المرأة بشكل عام العامل الأساسي للأسرة الجزائرية خاصة اذا غاب الرجل ، فديب أشار الى ذلك في الرواية حيث لفت نظر القارئ ان النساء في " دار سبيطار " نساء كلهم ماكثات في البيوت لا يعملن في وظائف خارجية لكن ذلك لم يمنعهم من ممارسة أشغال محددة في البيت كالقيام بالخياطة و النسيج لإعالة أسرهم ومنهم : " لالا عيني ، زينة ، يمينة ، لالا زهرة ، منون ، فاطمة ، عتيقة ، زليخة ، خدوجة " . فبذلك تحولت المرأة إلى وتد أو ركيزة أساسية للعائلة الجزائرية ، فبغياب العائل كالأب أو اللأخ الأكبر تسعى الى ملئ الفراغ رغم كل الصعاب وكل العراقيل في وجهها ، فنجد الشابات يدخلن عالم الشغل بدافع الحاجة ومساعدة أسرهن لتحضير مستلزمات الزواج ، انتظارا لزوج المقبل ، فمريم وعويشة ، بنات عيني ، وجدتا نفسيهما يعملان في ورشة نسيج[4] .

تتعامل المرأة مع الرجل عند ديب بما يسمى الاحترام المتبادل فهي تحترم الرجل المتعلم والواعي احتراما كبيرا ، فساكنات " دار سبيطار " كن يشعرن باحترام غير غير مفهوم تجاه

---

[1] المصدر السابق، ص :٣٦

[2] نفسه ، ص : ٣٧

[3] نفسه ، ص : ١٠٠.

[4] ينظر: جبور أم الخير ، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ، ص :٢٤٤، ٢٤٥

الوطني " حميد سراج " احتراما يفوق تقدير الرجل العادي بصورة طبيعية و عفوية ، فنظرتهم للمتعلم نظرة لشخص يملك قوة مجهولة[1]« ان العلم يتمتع في بلادنا بتقديس عظيم ، تقديس يبلغ من العظم ان أناسا من أدعياء العلم يستغلونه بسهولة ، كما يستغله أناس من أدعياء النبوة .

وكان حميد لا يلاحظ شيئا من هذا كله ، كما لم يلاحظ ، في الأيام الأولى فضول النساء »[2]

و يصور لنا ديب أيضا صورة أخرى عن الاحاسيس الإنسانية اللصيقة بالمرأة، كخوفها من الطلاق لا مثيل له بل ورفضه فالمرأة تدرك ، بمجرد زواجها أنها لن تصل إلى منطقة الأمان إلا بإنجابها ، فتثبيت الزواج يكون بإنجاب طفل ذكر دون أنثى .

ف "زهور " التي أحبها عمر حبا بريئا ، تتزوج ثم تعود إلى" دار سبيطار" بعد معاناتها من سوء معاملة الزوج ، لكن الأم التي رفضت ان تتدخل في مشاجرات ابنتها و زوجها تتأسف لرجوعها بغض النظر عن الدوافع و الأسباب ، فما كانت هذه الأم لتتحمل تجمع النسوة في بيتها لمعرفة أسباب رجوع الابنة إلى ديارها ، وكانت تنفجر باكية متى أحست أنها أهينت في كرامتها أو كما يقال في المجتمع الجزائري و في التعبير الشائع ، لمس أحد أنفها . ففلسفة الام تتأسس على ضرورة الاحتمال و التزام الصمت و التظاهر بعكس الحقيقة[3] .

و يصور لنا ديب شخصية أخرى هي شخصية " العمة حسنة " البخيلة والتقية في الوقت نفسه، « كانت واحدة من الناس الذين يأكلون كل يوم و كان شبعها في كل يوم يضفي عليها مهابة، ويحمل على احترامها... [4]» فهي تنتمي إلى الطبقة البرجوازية الحالمة التي تستغل غيرها.

---

[1] ينظر: جبور أم الخير ، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ، ص : ٢٤٦

[2] الدار الكبيرة، ص : ٥٥، ٥٦

[3] جبور أم الخير ، المرجع السابق ، ص : ٢٤٦

[4] الدار الكبيرة، ص :٧٦.

و نستخلص في الأخير ،ان محمد ديب استطاع من خلال روايته الدار الكبيرة ان ينقل للقارئ صورة المجتمع الجزائري بكل واقعية وما كان يعانيه من فقر وجوع وحرمان وتهميش جراء الاستعمار الفرنسي ،فجسد ذلك من خلال تصويره للمرأة وهي تناضل من أجل الحفاظ على الاسرة ، وعيني كمثال على ذلك همها الوحيد هو توفير لقمة العيش لابنائها وصنع المعين من خلال ابنها عمر رجل المستقبل الذي سيخفف عنها العبئ .

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة التي تناولنا فيها صورة المجتمع الجزائري من خلال رواية "الدار الكبيرة " لـ " محمد ديب " توصلنا لمجموعة من النتائج نلخصها في الآتي:

ـ استطاع محمد ديب من خلال روايته الدار الكبيرة أن يصور الواقع الجزائري بأدق صورة لما كان يعانيه جراء الاحتلال الفرنسي من فقر وجوع وحرمان وتهميش.

ـ عمد محمد ديب إلى إبراز الإنسانية المهانة من قبل الاستعمار إذ صور الشخصيات في دار سبيطار أنها تتحول إلى كائنات بلا كيان حلمها وشبحها الخبز وكيفية الحصول عليه.

ـ قدرة محمد ديب على تطويع اللغة المستعارة من خلال تحميلها أفكار جزائرية تعبر عن المجتمع الجزائري وعن ثقافته وارتباطها بآلام الروح والوطن خير برهان على أصالتها مؤكدة في الوقت ذاته على أن اللغة المستعارة لم تكن عائقا بالقدر الذي كانت فيه عامل ثورة وتمرد لإيصال صوته.

ـ إبراز عنصر المرأة في الرواية وشخصيتها القوية التي احتلت المساحة الكبيرة و المؤثرة في حركة النص.

ـ بين محمد ديب من خلال روايته معاناة الطفل الجزائري من وطأة الاستعمار الذي سلب منه البراءة وقضى على كل أحلامه و جعل همه الوحيد البحث عن الطعام.

ولا ندعي في هذا البحث كمالا، فالنقائص لا شك موجودة، وسنعمل في المستقبل على تداركها وإصلاحها، كما نأمل في دراسة أوسع وأشمل في هذا المجال، والله الموفق.

قائمة المصادر و المراجع

أولا: المصادر:

. محمد ديب، الدار الكبيرة، تر: سامي الدروبي، دار الهلال ، ع ٢٦٢ أكتوبر ١٩٧٠ ، شعبان ١٣٣٩ ، القاهرة .

ثانيا: المراجع:

أ . الكتب:

١/ ابن منظور، لسان العرب ، دار المعارف ، كورنيش النيل ، القاهرة .

٢/ أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ٢٠٠٨.

٣/ أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي: نشأته وتطوره وقضاياه ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية بن عكنون ،الجزائر .

٤/ أحمد منور، ملامح أدبية : دراسات في الرواية الجزائرية ، دار الساحل ٢٠٠٨ .

٥/ جبور أم الخير، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيونقدية ، ط١، دار ميم للنشر، ٢٠٠٣.

٦/ عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، عالم المعرفة ، ١٩٩٨.

٧/ عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري (١٩٢٥/١٩٦٧) ، تر: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،١٩٨٢.

٨/ محمد بوعزة ، تحليل النص السردي : تقنيات ومفاهيم ، ط١، دار الأمان،الرباط، (١٤٣١هـ/٢٠١٠م) .

٩/ نادية بوذراع ، محاضرات في نظرية الأجناس الأدبية ، ط١ ، دار ميم للنشر ، ٢٠١٦.

ب: الرسائل الجامعية:

١/ أسماء خويدمي ، نوال شاعة ، صورة الآخر في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية رواية " أشباح الجحيم " لياسمينة خضرا أنموذجا ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي ، جامعة الجيلاني بونعامة ، (٢٠١٥/٢٠١٦).

٢/ إشراق كلتين ، رقية مصطفاوي ، التجديد في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية مابعد الاستقلال ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي ، جامعة الجيلاني بونعامة – بخميس مليانة ، (٢٠١٦/٢٠١٧).

٣/ حبيب فاطمة الزهراء ، ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ، رواية " بماذا تحلم الذئاب ؟ " لياسمينة خضرا دراسة تطبيقية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، (اشراف : د. بلقاسمي حفيظة) ، جامعة وهران١، أحمد بن بلة ، معهد الترجمة ، ٢٠١٥.

٤/ سعيدة جزار ، الهوية الجزائرية في الرواية الفرنكفونية ، رواية " ابن الفقير" لمولود فرعون أنموذجا ، مذكرة لنيل شهادة الماستر (اشراف : شهيرة زرناجي) ، جامعة محمد خيضر بسكرة (٢٠١٥/٢٠١٦).

ج: المجلات:

١ ـ مجلة الدراسات اللغوية و الأدبية ، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ،ع٢ ، ٢٠١٤.

الفهرس

مقدمة .....أ

الفصل الأول : الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية : النشأة والقضايا.....١

أولا : مفهوم الرواية.....٢

ثانيا: نشأة وتطور الادب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية.....٤

ثالثا: قضايا الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.....٨

رابعا: أهم أعلام الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.....١٢

الفصل الثاني : ملامح المجتمع الجزائري من خلال رواية "الدار الكبيرة"....١٦

أولا : تمهيد ١٧

١. نبذة عن المؤلف.....١٧

٢. ملخص عن رواية " الدار الكبيرة ".....١٩

ثانيا: المجتمع الحزائري كما تصوره رواية "الدار الكبيرة.....٢١

المبحث الأول : ملامح الفقر.....٢١

المبحث الثاني : صورة الطفل الجزائري.....٢٨

المبحث الثالث : صورة المرأة الجزائرية.....٣٠

خاتمة.....٣٥

قائمة المصادر والمراجع.....٣٦

الفهرس.....٣٨